الموروث الشعبي والهوية الوطنية دراسة في ماهية المأثورات الشعبية

The popular heritage and the national identity A study in the nature of popular traditions

د.أسامة مهمـــلي[1]
جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس
orientalistd@gmail.com
د.صالحي آمال
جامعة 20 أوت 1955م سكيكدة
salhiamel2018@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/19 القبول 2023/07/19 النشر على الخط 2024/01/15
Received19/04/2023Accepted19/07/2023 Published online 15/01/2024

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى ملامسة وإبراز دور الموروث الشعبي في تعزيز الهوية الوطنية والقومية وفي حفظ كيان الأمة، بشقيه المادي واللامادي، لكونه مخزونها الروحي والثقافي والسجل الفكري والحضاري المبثوث في مأثوراتها الشعبية، انطلاقا من عملية استقراء لجملة المأثورات الشعبية والفولكلورية المادية واللامادية من حرف وفنون تقليدية ولباس تقليدي إلى الأغنية الشعبية الثورية، والأمثال والحكم، السير والملاحم والحكايات الشعبية... و إبراز ما لهذه الأشكال التعبيرية الشعبية من دور بالغ الأثر في المحافظة على مقومات الأمة وحفظ تاريخها الحضاري والثقافي وتعزيز هويتها وكيانها، لكونها تجسد الجانب الحي من التراث الثقافي للجماعة والمجتمع، ودافعا معنويا وضروريا له، كما تعد مصدرا روحيا لا ينضب ولا يتوقف عطاؤه الإنساني وهو عامل نهضتها.

الكلمات المفتاحية: الموروث الشعبي، التراث، تعزيز، الهوية الوطنية، المأثورات الشعبية.

Abstract:

This study seeks to touch and highlight the role of the popular heritage in strengthening the national and national identity and in preserving the nation's entity, in both its material and immaterial parts, because it is its spiritual and cultural stock and the intellectual and civilizational record enshrined in its popular traditions, based on a process of extrapolation of the group of material and immaterial popular and folklore traditions of crafts, traditional arts and clothing. Traditional to the revolutionary folk song, proverbs and wisdom, biographies, epics and folk tales...

Highlighting the role of these popular expressive forms of great influence in preserving the nation's foundations, preserving its civilizational and cultural history, and strengthening its identity and entity, because it embodies the living aspect of the cultural heritage of the group and society, and a moral and necessary motive for it. her rise.

***Keywords**: Popular heritage, heritage, promotion, national identity, folklore.*

[1] – المؤلف المراسل: أسامة مهملي البريد الإلكتروني: **salhiamel2018@gmail.com**

مقدمة:

يعد الموروث الشعبي مرآة عاكسة لتراث الشعوب يعبر عن هويتها وشخصيتها ويضمن استمراريتها من خلال جملة العادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات الشعبية، إذ يمثل حياة الإنسان من جميع النواحي الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والحياتية العامة فهو «محصلة الثقافة الشعبية المتراكمة من أقدم العصور، والمسايرة لتاريخ الشعب على مر الزمان، وتنوع مظاهر حياته، وهذا التراث الشعبي هو الذي يحافظ على دعامة الأصالة ولا يقف في وجه المعاصرة،...وهو ببساطة التراث الروحي للشعب »[1]. والموروث الشعبي يمثل الهوية الوطنية والقومية لكل أمة من الأمم يجسد كيانها وثقافتها وحضارتها ومخزونها الفكري والروحي، فهو« ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء و الأجداد والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية، بما في فيها من عادات وتقاليد »[2].والثقافة الشعبية لأي شعب من الشعوب تشمل جميع أشكال إبداعاته الفنية وسلوكياته وأفكاره ومعتقداته وتصوراته الشعبية مما يظهر عاداته وتقاليده ولغته وأعرافه وقيمه المتجسدة في المأثورات الشعبية، إذن هي « بطاقة التعريف الأصلية للشعوب والأمم ذلك أن ثقافة شعب من الشعوب تشمل جميع أشكال إبداعاته الفنية وسلوكاته وأفكاره ومعتقداته وتصوراته الشعبية،مما يظهر في عاداته وتقاليده ولغته وتعبيره الشفوي وممارساته اليدوية. ومن أجا هذا سنقوم من خلا ل هذه الدراسة ملامسة و إبراز دور الموروث الشعبي في تعزيز الهوية الوطنية والقومية والحفاظ عليها، لكونه مخزونها الروحي والثقافي والسجل الفكري والحضاري.

مفاهيم أساسية:

1/الموروث الشعبي:

1.1/ لغة:

كلمة" موروث "اسم مفعول، وتعني في اللغة ترك الميراث، و المال و الموروث مأخوذة من الأصل اللغوي لمادة ورث كما نجد في المعاجم اللغوية القديمة، «و يدور المعنى في معاجم اللغة للتراث على أنه ما يُخلّفه الرجل لورثته، والتاء فيه بدل من الواو»[3]، ورد في المصباح المنير في مادة ورث «وَرِثَ : مَالَ أَبِيه ثُمَّ قِيلَ (وَرِثَ) أَبَاهُ مالاَ (يَرِثُهُ) (وِرَاثَةً) أَيْضًا و (التُرَاثُ)بضَم و (الإرْثُ) كَذلِكَ و التاءُ و الهَمْزةُ بَدَل مِنَ الوَاوِ فانْ وَرِثَ البَعْضَ قِيلَ (وَرِثَ) منْهُ و الفَاعِلُ (وَارِثُ) و الجَمْعُ (وُرَاثٌ) و (وَرَثَةٌ)..و المالُ (مَوْرُوثٌ) و الأبُ (مَوْرُوثٌ) أيْضًا (أَوْرَثَهُ) أبَوُهُ مَالاً جَعلهُ لَهُ (مِيرَاثًا) و (وَرثتُهُ) (تَوريثا) أشركته في الميرَاثِ قال الفارابي (ورثه) ادْخَلهُ في مَالِه

[1] / إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ،موسوعة مصطلحات الطفولة {اجتماعية ،إعلامية ،تربوية، نفسية}، مركز الإسكندرية للكتاب ، القاهرة ، {د/ط}، {د/ت} ،ص 83.

[2] / أحسن تليلاني ، المسرح الجزائري . دراسات تطبيقية في الجذور التراثية و تطور المجتمع . ، دار التنوير ، الجزائر ، ط1 ، 2013 ، ص 12.

[3] / إبراهيم أبو طالب، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية دراسة في التفاعل النصي ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن،{د/ط}، 2004 .

على (وَرَثته) وقال أبُو زَيدٍ أيضا (ورَثَ) الرجل فلانا مالا (تَورِيثًا) إذ ادخل على وَرثتِه من ليس منهم فَجَعَلَ لَهُ نَصِيْبًا »[1]،كما و ورد في معجم الوسيط « (وَرِث) فلاناً المال و (يَرِثُهُ) ،وِرْثًا، ووَرَثًا، و إرثا، ورثة، ووراثة : صَارَ إليهِ بعد مَوتهِ و يقال :وَرث المجدَ وغيره .ووَرث .أبَاه مالَه ومجْدَه .ورثه عنه . فهو وَارِثُ . (ج) ورثة، ووَراثُ.. (تَوَارَثُوا)الشَيء :وِرَثة، وَوراث.»[2]، و« يمكن القول إن كلمة التراث مأخوذة من مادة «ورث» التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي .ممن سبقه من والد أو قريب أو نحو ذلك »[3]، وفي القران الكريم « يَرِثُنِي وَ يَرِثُ آل يَعْقُوبَ واجْعَلْهُ رَبِ رَضِيَا »[4] و كذلك قوله تعالى « وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوْودَ وَقَالَ يَأَيُهَا النَاسْ عُلِمْنَا مَنْطِقَ الطَيْرِ وَأُوْتَيْنَا مَنْ كُلِ شَيْءً إِنْ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المِبِيْنْ »[5] .

و «نخلص من ذلك إلى أن المعاجم العربية، واللغويين، قد أجمعوا على أن التراث هو ما يخلفه الرجل لورثته، وإن تاءه أصلها الواو أي (الوراث) وساقوا أمثلة عديدة لمثل هذا الأمر وهو تحول الواو إلى تاء في كلمات من العربية، وظلت هذه الكلمة تستعمل على مر العصور، وتنوب عنها أحيانا كلمة الميراث، إلى أن جاء العصر الحديث فكثر استعمالها نتيجة اتجاه المفكرين والأدباء إلى الماضي. متمثلا في الآثار المكتوبة الموروثة، التي حفظها التاريخ، فعادت الكلمة إلى معناها (الوراثة) لكنها اقتصرت على الجوانب الفكرية والحضارية »[6]، و«مما سبق نرى أن الموروث في اللغة هو ما بقي للخلف عن السلف وما أورثوه لهم سوءا كان هدا الميراث ماديا . مالا. أم معنويا . حسبا أو مجدا »[7]، والتراث بمفهومه البسيط هو خلاصة ما خلفته الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة، و هو بحسب بحسب المنظور اللغوي،كل ما يخلفه الرجل لورثته أي أبنائه و أهله من بعدة و قابل لإرث بحكم التقادم و الانتقال .

1.2/اصطلاحا:

إذا كان لفظ الموروث أو التراث في المعنى العربي القديم الذي أجمعت عليه المعاجم العربية قد ارتبط بما يخلفه الأب لأبنائه بعد موته مما يملكه من مال وغيرها فإنه قد توسع مدلوله اللغوي والدلالي حديثا وأصبح يعبر عن « المعتقدات والعادات الاجتماعية الشائعة، وكذلك الرواية الشعبية، ويدل التراث الشعبي بصفة عامة على موضوعات الدراسة في الفولكلور، أو دراسة التراث الشعبي، أو دراسة الرواية الشعبية وينبغي أن نرى الوحدة في كل هذه الموضوعات كونها تجسد جميع جوانب الثقافة الروحية ويشير اسم التراث الشعبي إلى أننا نتناول تراثا شفهيا ينتقل من جيل إلى أخر داخل الشعب »[8]، و«يشمل «التراث الشعبي»: المعتقدات

---

[1] /أحمد بن محمد المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: عبد العظيم الشانوي، دار المعارف، القاهرة، مصر ،ط2،{د/ت}، ص654.

[2] /مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، {د/م}،ط4، 2004، ص 1024.

[3] /مراد عبد الرحمان مبروك ، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر . دراسة نقدية . {1914. 1982}، دار المعارف ، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص 12.

[4] /القران الكريم ، سورة مريم ، الآية 6 .

[5] /القران الكريم ، سورة النمل ، الآية 16.

[6]/مراد عبد الرحمان مبروك ، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر . دراسة نقدية .، ص 15.

[7]/إبراهيم أبو طالب ، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية دراسة في التفاعل النصي ، ص 15.

[8]/ايكاهولترانس، قاموس مصطلحات الأنتروبولوجيا والفولكلور ، تر محمد الجوهري وحسن الشامي ، {د/د} ، {د/ت}، {د/ط} ص 95.

الشعبية والعادات تماما كما يشمل الإبداع الشعبي. وهو بصفة عامة يمثل الموضوعات التي تنتمي إلى الفولكلور، وإلى دراسة التراث الشعبي، أو إلى دراسة الإبداع الشعبي.. ومهما يكن من أمر فإن الوحدة التي تنظم هذه الموضوعات كلها ينبغي إن تتضح في هده الحقيقة وهو أن هذا التعريف يشمل جميع مجالات الثقافة الروحية »[1]، ولقد تعددت آراء الباحثين وتنوعت بخصوص تعريف الموروث الشعبي، منهم من يعرّفه بأنه:« ما يخلفه الأجداد للأحفاد والأجيال السابقة لأجيال اللاحقة من عادات وتقاليد وروايات وثقافة شعبية »[2]،ومنهم من عرفه بأنه: « ما نقوم به أو ما نعتقده لأن الأجداد فعلوه أو آمنوا به »[3]، ومنهم من قال أن « التراث التراث الشعبي هو التراث المنقول شفهيا والمكون من العادات الشعبية والمعتقدات والموسيقى والرقص والأدب الشعبي بكل صنوفه ، فهو الذي يتناقل شفهيا ويشمل المعتقدات الشعبية والعادات والثقافة المادية، وبعض الأنماط من السلوك المتوارث مثل الفنون الشعبية كالرقص وما إلى ذلك من أساليب التعبير الحركي المختلفة »[4]،وهنالك من اعتبره «دينا وثقافة ووجدانا، إضافة إلى عنصر الروحانية التي يشتمل عليها والتي تحوي القيم الأخلاقية السامية، واجتلاب هذا الجانب المعنوي ضروريا في كل مشروع إحيائي »[5]،والموروث الشعبي هو المخزون الثقافي المتوارث عبر الأجيال لكونه يمثل الأرضية المؤثرة في تصورات الناس و سلوكاتهم ومعتقداتهم ومعتقداتهم ومن ثمة يكون حاملا لقيم وتجارب الشعوب، فهو ما خلفه السلف للخلف، فلازم مسيرة حياتهم وأثر فيهم وهو الكفيل بحفظ هويتهم وثقافتهم الحضارية والروحية والفكرية كونه يمثل الخلفية والأرضية الثقافية الصلبة والمرنة لأمة ومتنفسها، واقتران التراث بالماضي لا يعني أنه يمثل الماضي فقط دون الحاضر وإنما هو كذلك الحاضر بل والمستقبل، لأنه يمثل جذور الأمة الضاربة في أعماقها وضميرها الحي، والأمة لا تتقدم ولا تنمو ولا تتطور خطوات للأمام إلا بالرجوع أولا و قبل كل شيء إلى تراثها ومحاولة إحيائه والمحافظة عليه وصونه لأنه كيانها.

2/الثقافة الشعبية :

2.1/لغة: يمكننا أن نقول أن المعاجم العربية القديمة لم تشر إلى مفهوم "الثقافة "ولم تحددها تحديدا معينا، إذ هي في المعاجم العربية القديمة لا تخرج من المنظور اللغوي عن مفهوم الذكاء والفطنة والحذق "سرعة البديهة "، فنجد في المعجم الوسيط في مادة ثقف « (ثَقِفَ) . ثقفا :صَارَ حَاذِقًا فَطِنًا .فَهُوَ ثقف..والعِلم والصناعة. حَذَقهُمَا، (فثقف) الخِل . ثَقَافَةً :ثَقف. فهو ثقِف ، و فُلان صَارَ حَاذِقًا فَطِنًا ..ثقف الشين: أَقَامَ المعْوَجَ منهُ، وسَواه والإنسان :أَدبَه و هذبَهُ و عَلَمَهُ »[6]، ومنه « (ثَقِفْتُ) الحديثَ فَهمتُهُ فَهمتُهُ بِسُرْعَةٍ وخفة »[7]،كما ورد في مختار الصحاح «وثَقف . (ثَقُفَ) الرَجل من بَاب ظَرُف صَار حَاذِقًا خَفِيفًا فَهو (ثقف) »[1]،

---

[1]/فوزي العنتيل ، الفولكلور ما هو ؟ دراسات في التراث الشعبي ، دار المعارف بمصر،القاهرة {د/ط}،1965،ص 77.

[2]/أمينة فزازي ،مناهج دراسات الأدب الشعبي،ص 17.

[3]/جان فرنسوا دورتيه ، معجم العلوم الإنسانية ، ترجمة: جورج كثورة ، مجد المؤسسة الجامعية لنشر و التوزيع ، بيروت ، ط3 ،2011، ص 214.

[4]/أحمد نعمان ، نفسية الشعب الجزائري ،دار الأمة ، الجزائر ، ط2 ، 1997 ، ص 74.

[5]/طه عبد الرحمان ، العمل الديني و تجديد العقل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط2، 1997، ص 90.

[6]/ مجمع اللغة العربية ،معجم الوسيط ،ص 98.

[7] /أحمد بن محمد المقري الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ص 82.

ونجد في معجم العين « ثقف: قال أعرابي :إني لَثَقَف راو رام شاعر ...و الثقف مَصْدر الثَقَافة ، وفعله ثقف إذا لزم ، و ثقفت الشيء وهو سرعة تعلمه . و قلب ثقف ،أي :سَرِيعَ التَعَلُم و التَفَهم »[2]، كما ونجد في القاموس المحيط في هذا الباب «ثَقَفَ ، كَكَرم و فَرِحَ ،ثقفا و ثقفا و ثقافة :صَارَ حاذقًا خَفْيفًا فَطِنَا، فهو ثَقف ...و امرأة ثِقَافُ كسَحَاب :فَطنة »:صَار حاذقا خفيفا فطنا، فهو ثقف ...وامرأة ثقاف، كسحَاب : فطنة »[3].

أما في المعاجم والقواميس الحديثة فهذه الكلمة لم تعد مقصورة على الذكاء والفطنة وإنما تجاوزنا هدا المدلول إلى مدلول أوسع وأرحب، إذ أصبحت تضم ميادين عدة، فنجد وهبة مثلا يشير إلى أربع معاني للثقافة نلخصها في النقاط التالية:« الثقافة هي رياض الملكات البشرية والتي تتجسد في مختلف الانجاز، إنها ترقية للعقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في مختلف الفنون والآداب الجميلة، إذ تعد إحدى مراحل التقدم في حضارة ما، إنها من السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم في حضارة من الحضارات »[4] وسائر الأمم .

2.2/اصطلاحا:

إن التجديد المفاهيمي لمصطلح "الثقافة" يعد اللبنة الأولى لتقصي الدلالة أو الدلالات المندرجة ضمن هذا الضرب، فالثقافة كما يشاع بشكل عام مجموعة المعلومات والمعارف والممارسات والقيم والأعراف الخاصة بشعب ما والتي يعيش بمقتضاها وهي التي تميزه عن غيره من الشعوب لأنها تعبر بصدق عن شخصيته وملامحها وطريقتها الخاصة في الحياة ،فالثقافة «عضو حي، وأنها تشمل جميع نشاطات الإنسان، ونتائج هذه النشاطات: المعتقدات، الملابس، والمنازل، واللغة، والموسيقى، والعمل، والرقص والحكايات، والحياة الاجتماعية، والعادات "الاجتماعية "كما تشمل بصفة خاصة على أفكار الإنسان حول الطبيعة التي تحيط به، كذلك علاقاته بعناصر الكون المرئية، وغير المرئية »[5]،إنها «الحاصل الإجمالي للمسلمات الإيديولوجية، والسلوك المكتسب، والخصائص المادية و الاجتماعية، والعقلية المنقولة التي تميز الجماعة الشعبية ...فبالنسبة للاتجاه السوسيولوجي مثلا، نجد أن "الثقافة "هي القدر المكتسب من السلوك الإنساني، أو أنها تشمل " أي عنصر موروث اجتماعيا في حياة الإنسان: ماديا كان أو روحيا "، وهذا التعريف يلخص ما قال به معظم الإثنولوجيين »[6]، ومن المعلوم أن «ثقافة أي أمة تتكون من ركيزتين مهمتين: إحداهما شفوية، مأثورة بين الناس، و تتناقل وتستمر عبر الذاكرة والنقل الشفهي. إنها تمثل مادة البحث الفولكلوري، والثقافة الشعبية للمجتمع، والأخرى مدونة ومؤرشفة، تمثل البحث التاريخي ..هذا الجانب من الثقافة يمثل في مجتمعنا العربي الحيز الأهم من تاريخ أمتنا وتطورها

[1] /محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1986،ص 36.
[2] /الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ط1 ، 2003، مج 1 ،ص 204.
[3] /مجد الدين الفيروز آبادي ، تح: أنس محمد الشامي و زكرياء جابر أحمد ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة ،مصر ، 2008 ، {د/ط}، ص 218.
[4] /انظر مجدي وهبة ،كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2، 123.
[5] /فوزي العنتيل ، الفولكلور ماهو ؟دراسات في التراث الشعبي،ص 50،49.
[6] /نفس المرجع ، ص 53،52.

الحضاري، كما يعبر عن البناء الفكري للمجتمع »[1] ونقصد بالثقافة الشعبية مجموع الرموز وأشكال التعبير الفنية والجمالية، والمعتقدات والأعراف والتصورات والقيم والمعايير والتقنيات والتقاليد والأنماط السلوكية التي تتوارثها الأجيال ويستمر وجودها في المجتمع بحكم تكيفها مع الأوضاع الجديدة، واستمرار وظائفها القديمة و المهمة وإسناد وظائف جديدة لها، إنها تحديدا تمثل الوجدان الجماعي للأمة والمتجذر في التاريخ الحضاري والثقافي الصادر عن مبادرات وإبداعات أفرادها وتجلياتهم المتوجة في صميمها .

3/المأثورات الشعبية :

3.1/لغة: المأثور من المنظور اللغوي لا يخرج عن معنى النقل و الرواية و الموروث ،كما ورد في المعاجم اللغوية «أَثَرْتُ: الحَدِيْثَ (أَثرًا) من بَابِ نَقَلَ نَقَلْتُهُ و (الأَثَرُ) بفتحتين اسمٌ منه و حديثٌ (مأثُورٌ) أيْ مَنقُولٌ ومنه (المأْثُرَةُ) وهي المكْرُمة لأنها تُنقَلُ ويتُحَدَثُ بَها و (أَثرُ) الدار بَقِيَتُهاَ و الجمع (آثارُ) مثْلُ سَبَب و أَسْبابَ و (الأَثَارَة) مثل (لأَثَر) وجئت في (أَثَرَه) بفتحتين و (إثْره) بكسر الهمزةِ و السُكُون أيْ تَبِعْتُهُ عَن قُرْبٍ »[2]و «أثرَه» . أثرًا، و أثَارة ، و أثرة : تبعَ أثَرَهُ .و . الحديث نَقلهُ ،و رَواه عن غيره ...و . ما خَلفه السَابقُون .. الخبر المروى و السُنة الباقِيةُ . (ج) آثار ، و أثور ...و أثَرة العِلم :بقِية منهُ تؤثَر ...المأْثَرةُ : المكُرمة المتَوارثة (ج) مآثر .المأثُور : مورث الخَلف عن السَلف و . الحديثُ المروي» [3]، كما ورد في مختار الصحاح « و (أثَرَ) الحديثَ ذَكَرَهُ عن غيرهِ فهو (آثِرٌ) بالمد و بَابهَ و منه حديث (مأثورُ) أي ينْقَّلَهُ خَلف عن سلف.

3.2/اصطلاحا: المأثورات الشعبية في الاصطلاح هو المصطلح العربي الدقيق للدلالة على ما هو شائع من مصطلحات محليا مثل " الفنون الشعبية "و " التراث الشعبي" و عالميا مثل " الفولكلور " و" تعبيرات الفولكلور " و"التعبيرات الثقافية المأثورة " و"التراث الثقافي غير المادي أو غير الملموس "والحقيقة أن المأثورات الشعبية أو التعبيرات الثقافية المأثورة «التقليدية » بالمعنى الواسع للمصطلح ، تشكل الجانب الحي من التراث الثقافي للجماعة أو المجتمع، وهي تمثل ذاكرة الشعوب، التي تعد الأساس للإبداع الفني الذي يثري الحاضر ويلهمه، والتي ترسخ المعارف والخبرات في التاريخ الثقافي للمجتمع ومن ثم يطمئن إلى ماضيه، فيعمل واثقا من أجل مستقبله، والمأثورات الشعبية مجموعة أشكال تعبيرية تعتمد اللغة أحيانا، كما تتوسل اللغة الحركة والإيماءة أحيانا أخرى، لترسم بذلك لوحات فنية إبداعية تعبر عن تاريخ جماعي بلغة بسيطة في شكلها، عميقة و مركزة في محتواها و جوهرها، تسعى جاهدة للتعبير عن عادات وتقاليد وطقوس وأعراف الجماعة، فهي « الثقافة المتوارثة في مجموعة من الناس أي في مجموعة من المجتمعات التي تحمل الثقافة ،ففي سائر الطبقات الاجتماعية يوجد قدر من الثقافة التي تكون غالبا موروثة »[4]و هذه المأثورات تشكل في الوقت نفسه قوة ثقافية مؤثرة و دافعا معنويا ضروريا و مصدرا روحيا مترسخ يتماشى مع كل أمة وكل شعب عبر الأجيال.

---

[1] /أكرم قانصو ، التصوير الشعبي العربي ، عالم المعرفة ، {د/م}، {د/ط}، 1995، ص 50.

[2] /أحمد بن محمد المقري الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ص 4.

[3] /مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، ص5 ،6.

[4]/ فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو ؟دراسات في التراث الشعبي ، ص 76.

4/خصائص و مميزات الموروث الشعبي وأهميّته:

يتميز الموروث الشعبي بجملة من الخصائص التي تميزه، وأي كان شكل الإبداع الشعبي فهو يمتاز بعدد من الخصائص التي تشترك فيها كافة أشكاله التعبيرية وهي:

4.1/العراقة: تتجلى في انطلاق الأدب الشعبي من وجدان الجماعة، ملبيا حاجاتها ومعبرا عن آمالها، لذا ظل متوارثا كمّا ونستطيع « أن نقول عنها بناء على دراسة المجتمع البشري والحضارة الإنسانية أنه قلما يستطاع أن يتفرغ البعض من ضرورات العمل والحياة، فينشئوا أدبا يخدم أغراض الخاصة ويشبع حاجاتهم الفنية باعتبارهم متميزين على الكافة وقبلما يأخذ الأدب الخاص في التميز على أدب الكافة كانت ثمة آداب عامة للجماعات البشرية المتساوية على الفطرة أو تلك التي لم يؤكد جانب الفراغ فيها، وكان ذلك الأدب يكفي حاجاتها الفنية و الروحية و كان شعبيا دارجا في محتواه و لغته و طرائق تداوله وكان يتداخل مع السحر و الدين و الأخلاق و التشريع .

4.2/الواقعية: وتتجلى في كون الأدب الشعبي نتج أساسا عن محاكاة للواقع، ومحاولة تصويره، أو تشكيل إجابات عن تساؤلاته المحيرة، مقدما في هذا السياق مقولاته الأخلاقية للمجتمع ومعتقداته من خلال أشكال التعبير التي استمرت وخضعت للتغيرات التي كان يضيفها الناس جيلا بعد جيل بما يتناسب و التطورات التي تشهدها مجتمعاتهم »[1]، وهذه السمة وإن وقع حولها جدل كما يقول أحمد صالح رشدي فلا مجال لإنكارها، « والسمة الثانية هي الواقعية وتلك قد يدور حولها جدل كبير هي الأخرى فثمة دارسوا أدب يقولون بأن الواقعية في الأدب الشعبي سمة باهتة وغير مميزة له بدليل أن فنونه المختلفة تحفل بالرمز والتضمينات والإشارات إلى أشياء وحوادث ابتدعها خيال الإنسان وأنشأها وهمه، وإنما يكون به من تعزيز موضوعي ليس أدب على نحو ما كلمه أدب ...أضف إلى أن الأدب الشعبي ثمرة الضرورة، لم ينشأ على عكس الظن الشائع في فراغ من العمل، لم تتجه كثرته إلى إرضاع ما يخلفه الفراغ من مطالب استمتاعية وإنما نشأ الأدب الشعبي ليكفي ضرورة العمل و العلاقات الاجتماعية ...»[2]، صحيح أن الواقع يلعب دورا في خلق الأدب الشعبين إلا أن الأدب الشعبي يسهم هو الأخر في بناء هذا الواقع .

4.3/الجماعية: وتتجلى في كون الأدب الشعبي ،منتجا ثقافيا جمعيا، و «الجماعة هي التي تنتجه وتشترك في خلقه، وهكذا يؤكد كونه وعاء قولبا تصب فيه الجماعة معتقداتها ومعارفها عن طريق أشكال مختلفة مثل الأغنية الشعبية والشعر والمثل، وغيرها من الأجناس الشعبية التي باتت بدورها تمثل كيان الأمة وطابعها الخاص، أي بمعنى آخر هويتها التعريفية ...وعلى هذا الأساس أصبح الأدب الشعبي بهذا المعنى خلاصة لمعارف الإنسانية »[3]، ومن المعروف « أن الأدب بمعناه العام يعبر بدقة عن هذا الواقع لأنه انعكاس للواقع في وعي الفرد المنتج لهذا الأدب.

---

[1]/بدرية البشر ، نجد قبل النفط . دراسة سوسيولوجية تحليلية للحكاية الشعبية ،بيروت . لبنان ، ط1، 2013، ص 28.

[2]/ أحمد رشدي صالح ، الأدب الشعبي ، ص 22،23.

[3] /بدرية البشر ، نجد قبل النفط . دراسة س سوسيولوجية تحليلية للحكاية الشعبية ، ص 27.

4.4/التداخل: أما سمة تداخل الأدب الشعبي مع فروع الفنون و المعرفة الشعبية الأخرى« فتميزه أيضا عن أدب الفصحى ...على أن الذي يهمنا هنا هو تقرير سمة التداخل هذه في الآداب الشعبية أتي تتصل أعمق الاتصال بالمعارف من تطبيب و زراعة و قواعد مهنية و حرفية ومن سلوك اجتماعي و تتصل بالمعتقدات الدينية، كما تتصل بفنون الغناء والرقص والتمثيل فتلك الفروع جميعا لا تتم إلا بأداء عمل أدبي، وكل عمل أدبي تقليدي لا يستقل بنفسه عنهما مباشرة لا يستغنى عن الإشارة إليهما »[1]هذا « تتداخل فنون الأدب الشعبي مع معارف ومعتقدات وممارسات اجتماعية تقليدية كالسحر والخرافة وغيرها، كما تتداخل مع الدين»[2].

5/الموروث الشعبي و الهوية الوطنية في المأثورات الشعبية :

يشكل الموروث الشعبي جزءا لا يتجزأ من ثقافات الشعوب على اختلاف هوياتها وأجناسها، فهو المعبر عن ماضيها وحاضرها، ومن خلاله تتحدد صورة مستقبلها، إنه يحدد الهوية التي تميز أمة عن أمة وشعبا عن شعب و جماعة عن جماعة، وهو ذلك الوعاء الذي تستودعه الأمم ممارساتها و طقوسها شعائرها وأعرافها وقيمها وكل مقومات وجودها وبقائها ونهضتها الحضارية للانطلاق من خلاله إلى آفاق أرحب من التقدم والنهضة في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، إنه كيانها و هويتها الوطنية ووجودها الحضاري ومخزونها الثقافي من المعتقدات والمعارف و الفنون الشعبية والعادات والتقاليد والأعراف والقيم، إنه سجل حقيقي لتاريخ الشعوب والقوام الثقافي للأمة من الأمم، فالموروث الشعبي مادة خصبة وترجمة بليغة لمشاعر العامة من خلال ثرائه واغتناءه بألوان وضروب شيقة من التعابير والإيماءات التي تصوغ مراحل وفترات متباينة من التاريخ البشري والكيان الإنساني فالمأثورات، بالشعبية بشقيها المادية واللامادية تختزن بدورها الإرث الحضاري لأمة وكيانها الروحي و الثقافي «وذلك بعد أن اتضحت أصالتها وقدرتها على الوفاء بحاجات المجتمع الشعورية والمعنوية، ذلك لأنها تتحقق الحيلة وتعين على حركة التاريخ و تبرز الخصائص القومية والملامح الوطنية والمثل الاجتماعية »[3].

6/المأثورات الشعبية اللامادية: ترتبط هذه الفنون الشعبية "المأثورات الشعبية الروحية " بما أنتجته الذاكرة الجماعية حيث عبرت عن آلامها و همومها وآمالها وتطلعاتها في أشكال تعبيرية عدة حكايات وأمثال و أغاني شعبية ونوادر ...فكانت هذه المأثورات والفنون التعبيرية بمثابة المخزون الثقافي المتواجد في الذاكرة الجماعية لأفراد .

7/الأغنية الشعبية: لكل شعب من الشعوب أغانيه الشعبية وهي« جزء لا يتجزأ من شخصيته الروحية و الثقافية والفنية، ونظم هذه الأغاني مستمر عبر العصور .كثيرة هي الأغاني التي تنظم و تغنى لكن بعضها فقط هو الذي يثبت قدرته على البقاء عبر الأجيال، وقد ينسى المؤلف والملحن، لهذا فإن اغلب الأغاني الفلكلورية القديمة لا يعرف لها قائل ... ولا ينفي عنها هذه

[1] /نفس المرجع ، ص 25،26.

[2] /بدرية البشر ، نجد قبل النفط دراسة سسيولوجية تحليلية للحكاية الشعبية ، ص 28.

[3]/عبد الحميد يونس دفاع عن الفلكلور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، {د/ط}، 1973،ص 45.

الصفة كون مؤلفها معروفا لدينا بالرواية أو التدوين »[1]و« الأصل في هذه الأغاني أن تغنيها المجموعة، فقد كانت أغاني جماعية مرتبطة بطقوس احتفالية، دينية أو اجتماعية كأفراح الزواج ، أو تغنيها مجموعات العاملين والعاملات في القطاف والبناء وغيرها من الأعمال المشتركة ، فهي ملازمة لحالات الاجتماع في القبيلة أو الأحياء و بفعل الزمن وتطور الغناء ونمو استقلالية الفرد أصبحت تغنى بالاشتراك بين المغني والمجموعة، ثم أصبح المغني الفرد فارسها الأول، أما الكورس فيردد معه لازمتها وبعض المقاطع »[2]، إنها «تلك المقطوعة الشعرية التي تغنى بمصاحبة الموسيقى في أغلب الأحيان ، والتي توجد في المجتمعات التي تتناقل آدابها عن طريق الرواية الشفهية من غير حاجة إلى تدوين أو طباعة بمعنى أن الأغنية الشعبية أغنية يتم حفظ ألفاظها و كلماتها دون كتابتها في معظم الأحيان هذا بالإضافة إلى اعتماد موسيقاها على السماع وليس لها "نوتة" موسيقية مكتوبة »[3] فالأغنية الشعبية جزء من الثقافة الشعبية، و« كلمات الأغنية الشعبية هي بسيطة مما يتداوله الناس في حديثهم اليومي ن لكنها تكتسب إيحاءات خاصة بالغناء وباستعمالها في معان مما يلامس اهتمامات الناس، وفي صور مما يتفق و ذوقهم و نظرتها الجمالية »[4]و «بدراسة هذه الأغاني الشعبية نقف على حقائق هامة عن وظيفتها فهي تؤدي وظيفة مهمة في حياة الفرد مثل ميلاده ، وزواجه ، و وفاته وفي حياة الجماعة باعتبارها جزءا من وجودها ذاته وكثيرا ما ترتبط هذه الأغاني بعادات و زيارة الأضرحة و موالد الأولياء و القديسين »[5]و تحفل الأغنية الشعبية بالعديد من الظواهر الاجتماعية المختلفة ، وهي أصدق من الشعر الفصيح في التعبير عن عادات الشعب وتقاليده وأعرافه وطقوسه في المناسبات المختلفة ، لقربها من المجتمع من ناحية، ولارتباطها بالعرف الاجتماعي و التقاليد الأصلية من ناحية أخرى، فالأغنية الشعبية ارتباط مادي وعقلي و روحي بالمجتمع، وهي إبداع تلقائي صادر عن فكر ووجدان مشترك بين أبناء المجتمع، فقد كانت الأغنية الشعبة معبرة بصدق عن الواقع عن تمسك الشعب بأرضه وكيانه رافضة المحتل الأجنبي مساهمة في إثارة الرأي العام وفي تقوية أواصر الإخوة و المساندة بين إفراد الشعب الجزائري، وكما ولا يمكننا أن ننكر دور القصيدة الشعبية أيضا " الشعر الشعبي" و الذي أسهمت في إضرام نار الثورات وبعث روح المقاومة في صفوف المناضلين فكان للشعر الشعبي دور فعال في المعارك والعمليات الفدائية، ويتبين مما تقدم أن الأغنية الشعبية كانت تؤجج حماس الجماهير وتزيد فعاليتها و تستقطب أنصارها و مؤديها وتحاول طرح مفاهيم الثورة، وشرح واقع الحال المعاش والإشارة إلى أهمية جمع الصفوف وحشدها و تفجير روح الحماس وبعث روح الثورة لدى الجماهير قصد تهيئتها لخوض غمار النضال البطولي، إذ لعبت دورا بالغ الأثر في تعبئة و توعية الجماهير ودعوتهم إلى التجنيد لأنه ضروري في سبيل نيل الحرية والاستقلال ومن نصرة الدين الإسلامي ورفع الراية الوطنية، كما وتعد الأمثال من أبرز أنواع الموروث الشعبي التي تعبر عن طبائع الناس وعاداتهم ومعتقداتهم وذلك لتغلغلها في معظم جوانب حياتهم، «ويلعب المثل دورا مميزا في إبراز القيم الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، فمن خلال تداول الأمثال يسعى العامة إلى تعميق معاييرهم

[1]/عبد الفتاح رولس قلعة جي ، دراسات و نصوص في الشعر الشعبي الغنائي {د/ط}، {د/ت}، ص 65.

[2]/ نفس المرجع ، ص 22.

[3] /فاروق أحمد مصطفى ، دراسات في المجتمع المصري الموالد دراسة للعادات و التقاليد الشعبية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980، ص 151.

[4] /عبد الفتاح رواس قلعة جي ، دراسات و نصوص في الشعر الشعبي الغنائي ، ص 66.

[5]/فاروق أحمد مصطفى ، دراسات في المجتمع المصري الموالد دراسة للعادات و التقاليد الشعبية في مصر ، ص 153.

الأخلاقية وعاداتهم وتقاليدهم ونظرتهم إلى الأمور لذلك كانت الأمثال دالة على التراث الحضاري »[1]، وتمثل الحكاية الشعبية جانبا من الثقافة الروحية للشعب والحياتية فضلا عما تحمله من لمحات تاريخية لها دلالتها الخاصة الذي تمثله الحكايات الشعبية بشكله العريق والأصيل، «أما النوادر فهي عبارة عن قصص قصيرة جدا، تثير ليضحك و التسلية وتتضمن الكثير من الانتقادات الاجتماعية والسياسية، وهي في الوسط الشعبي معروفة " بالنكات" المواطن العادي اختصر في أمثاله ونوادره الكثير من عاداته وأخلاقه ونظام حياته، فكأنه يخزن في ذاكرته عددا هائلا منها، يلجأ إليها كلما دعت الحاجة »[2]،وما يقال عن الحكايات والأغاني الشعبية والنوادر يمكن أن يقال على السير والملاحم، بل و يمكن أن يقال على سائر أشكال الموروث الشعبي كل هذه المأثورات الشعبية تعكس الطابع القومي والقيم والمثل.

8/المأثورات المادية:

إن المقصود بالمأثورات الشعبية المادية تلك التقنيات والمهارات ووصفات انتقلت عبر الأجيال كهندسة البيوت وصناعة الملابس التقليدية وإعداد الطعام والتطريز ...وغيرها من المأثورات المادية الشعبية و الفلكلورية وهي تنقل لنا بذلك ثقافة عريقة تحمل في طياتها بعدا تراثيا أصيلا . وهذه الموروثات مردها أفكار نابعة من عقول أجدادنا و أسلافنا ن و لقد حاول علماء الأنثروبولوجيا تحديد العناصر الجزئية التي يندرج ضمنها هذا الموروث فحددوها فيما يلي: الآلات الموسيقية : آلات النفخ ،الآلات الوترية، آلات الإيقاع، الألعاب الشعبية : البارود والفروسية، التشكيل الشعبي: الأشغال اليدوية المختلفة، الأزياء، التطريز، صناعة الحليّ، النسيج، فن العمارة الشعبية، الرسوم الحجرية والرملية والجدارية، التصوير الشعبي، الحرف والصناعات: صناعة الزرابي، صناعة الفخار، صناعة الحلفاء...وغيرها.

خاتمة:

إن الموروث الشعبي في حقيقته شاهد الحضارة والتراث وهو تعبير وتمثيل عن الأصالة ورائحة الأجداد، به تقاس قيمة الأمة وثقافتها، لكونه قوة حية و فاعلة وروحا دافقة تعطينا القدرة على الاستمرار وبناء المستقبل على الوجه الأمثل، وهو خط الدفاع الأول عن هويتنا و عن جذورنا.

التّوصيّات

أمَّا عن التي التوصيات نقترحها في هذا المقام فهي كما يلي:

1- ضرورة الاهتمام بالأدب الشّعبي بوصفه مخزونًا ثقافيّا له دور فعال في تنمية الأمة وحفظ هويتها وتعزيزها لمواجهة الغزو الثّقافي من الآخر الغربي.

2-للمأثورات الشعبية دور فعال في التنمية الوطنية والسياحية، لهذا وجب الالتفات لها من الجانب التنموي لكونها موارد مستدامة.

---

[1]/قديح فوزي ، الأمثال الشعبية الفلسطينية ، دمشق ، دار علاء الدين ، 1995، ص 8.

[2]/أكرم قانصو ، التصوير الشعبي العربي ،ص 53.

3- توجيه المهتمّين بالأدب الشّعبي للتّركيز على دراسة المأثورات المادية التي يزخر بها الموروث الشعبي من الأزياء التقليدية والحرف التقليدية والهندسة المعمارية ذات طابع الزخارف الشعبية.

4- ممّا لا شكَّ فيه أنَّ الأدب الشّعبي مجال واسع وثريٌّ يفتح ذراعيه للدّراسة والبحث على عدّة أصعدة، لكنّه ما زال لم يحظ بالاهتمام الكافي من الباحثين، لذا وجب على جميع المشتغلين في هذا الحقل الثّقافي ضرورة إعطاء الموروث الشّعبي المكانة التي يستحقّها والتوعية بأهميته.

قائمة المصادر والمراجع :

1/ إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ،موسوعة مصطلحات الطفولة {اجتماعية ،إعلامية ،تربوية، نفسية}، مركز الإسكندرية للكتاب ، القاهرة ، {د/ط}، {د/ت} ،ص 83.

2/أحسن تليلاني ، المسرح الجزائري. دراسات تطبيقية في الجذور التراثية و تطور المجتمع. ، دار التنوير ، الجزائر ، ط1 ، 2013 ، ص 12.

3/إبراهيم أبو طالب ، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية دراسة في التفاعل النصي ، إصدارات وزارة الثقافة و السياحة ، صنعاء ، {د/ط} ، 2004.

4/المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،أحمد بن محمد المقري الفيومي ،تح عبد العظيم الثانوي ،دار المعارف ، القاهرة ، ط2، {د/ت}،ص 654.

5/ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، {د/م}،ط4، 2004، ص 1024.

6/مراد عبد الرحمان مبروك ، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر. دراسة نقدية. {1914. 1982}، دار المعارف ، ط1، 1991، ص 12.

7/ القران الكريم ، سورة مريم ، الآية 6 .

8 / القران الكريم ، سورة النمل ، الآية 16.

9/ مراد عبد الرحمان مبروك ، العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر. دراسة نقدية .، ص 15.

10 /إبراهيم أبو طالب ، الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية دراسة في التفاعل النصي ، ص 15.

11/ايكاهولترانس،قاموس مصطلحات الأنتروبولوجيا و الفولكلور، تر:محمد الجوهري وحسن الشامي، {د/ت}،{د/ط} ص95.

12/فوزي العنتيل ، الفولكلور ما هو ؟ دراسات في التراث الشعبي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة {د/ط}،1965، ص 77.

13/ أمينة فزازي ، مناهج دراسات الأدب الشعبي ، ص 17.

14/جان فرنسوا دورتيه ، معجم العلوم الإنسانية ، تر جورج كثورة ، مجد المؤسسة الجامعية لنشر و التوزيع ، بيروت ، ط3 ،2011، ص 214.

15/أحمد نعمان ، نفسية الشعب الجزائري ،دار الأمة ، الجزائر ، ط2 ، 1997 ، ص 74.

16/طه عبد الرحمان ، العمل الديني و تجديد العقل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط2، 1997، ص 90 .

17/مجمع اللغة العربية ،معجم الوسيط ،ص 98.

18/أحمد بن محمد المقري الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ص 82.

19/محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1986،ص 36.

20/الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان،ط1، 2003، مج1،ص 204.

21/مجد الدين الفيروز آبادي ، تح انس محمد الشامي و زكرياء جابر أحمد ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة ، 2008، {د/ط}، ص 218.

22/انظر: مجدي وهبة ،كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2، 123.

23/فوزي العنتيل ، الفولكلور ماهو ؟دراسات في التراث الشعبي،ص 50/49.

24/ نفس المرجع ، ص 53/52.

25/أكرم قانصو ، التصوير الشعبي العربي ، عالم المعرفة ، {د/م}، {د/ط}، 1995، ص 50.

26أحمد بن محمد المقري الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، ص 4.

27/مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، ص6،5.

28/فوزي العنتيل ، الفولكلور ما هو ؟دراسات في التراث الشعبي ، ص 76.

29/ بدرية البشر ، نجد قبل النفط . دراسة سسيولوجية تحليلية للحكاية الشعبية ن جداول ،بيروت . لبنان ، ط1، 2013، ص 28.

30/أحمد رشدي صالح ، الأدب الشعبي ، ص 22،23.

31/بدرية البشر ، نجد قبل النفط . دراسة س سسيو لوجية تحليلية للحكاية الشعبية ، ص 27.

32/ نفس المرجع ، ص 25،26.

33/بدرية البشر ، نجد قبل النفط دراسة سسيولوجية تحليلية للحكاية الشعبية ، ص 28.

34/عبد الحميد يونس دفاع عن الفلكلور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، {د/ط}، 1973،ص 45.

35/عبد الفتاح رولس قلعة جي ، دراسات و نصوص في الشعر الشعبي الغنائي {د/ط}، {د/ت}، ص 65.

36/ نفس المرجع ، ص 22.

37/فاروق أحمد مصطفى ، دراسات في المجتمع المصري الموالد دراسة للعادات و التقاليد الشعبية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1980،ص 151.

38/عبد الفتاح رواس قلعة جي ، دراسات و نصوص في الشعر الشعبي الغنائي ، ص 66.

39/فاروق أحمد مصطفى ، دراسات في المجتمع المصري الموالد دراسة للعادات و التقاليد الشعبية في مصر ، ص 153.

40/قديح فوزي ، الأمثال الشعبية الفلسطينية ، دمشق ، دار علاء الدين ، 1995، ص 8.

41/أكرم قانصو،التصوير الشعبي العربي،ص 53.